النهار
الخميس 20-03-2025 العدد 28507

150 عاماً من العلم: الجامعة اليسوعية ودورها في المشهد الثقافي اللبناني

بيروت - شربل بكاسيني

منذ تأسيسها قبل 150 عاماً، شكّلت الجامعة اليسوعية في بيروت ركناً أساسياً للمشهد الثقافي اللبناني، لاضطلاعها بدور محوري في التعليم الجامعي وفي مجالات علم الآثار، والتصوير الفوتوغرافي، والدراسات الشرقية، وترسيخ الهوية اللبنانية. تميّزت الجامعة بريادتها في البحث الأكاديمي، واحتضانها لأرشيف وثائقي فوتوغرافي غني، إلى جانب دورها في إعداد النخبة الفكرية والأدبية والإعلامية التي أثرت الحياة الثقافية والسياسية في لبنان.

لعلّ أهم مساهمة للجامعة اليسوعية هي تعزيز الثقافة اللبنانية التي تتمحور حول دستور الكيان اللبناني. منذ العقد الأخير من القرن التاسع عشر، نشر آباء يسوعيون أبحاثاً عن حدود لبنان الحالي، باعتباره متميزاً عن سوريا، "وقد افترض هذا الأمر استقلال لبنان الكبير، وكان هذا اليسوعي أو ذاك في باريس خلال مناقشات فرساي لدعم إنشاء مثل هذه الدولة"، يقول رئيس الجامعة البروفسور سليم دكّاش اليسوعي لـ"النهار"، "وأحد أبرز رموز لبنان الناشئ الذي صاغ أسس الدستور اللبناني في العام 1926 كان ميشال شيحا، خرّيج الجامعة اليسوعية التي دعمت إنشاء الدولة اللبنانية، سواء من خلال مطالب طلاب كلية الحقوق في العشرينيات أو من خلال تعيين خريجي جامعتنا على رأس إدارات الدولة الناشئة".

من قاعات المعرض في مركز الفن المعاصر.

تشكيل النخبة الفكرية

كان لجامعة القديس يوسف دور محوري في تشكيل النخبة المثقفة اللبنانية منذ تأسيسها، إذ أنشأت كليات مبكرة مثل المدرسة الإكليريكية في غزير (1843) التي دربت رجال الدين بقيادة اليسوعيين الوافدين من أوروبا. تحوّلت لاحقاً إلى كلية اللاهوت والفلسفة في بيروت (1881)، ثم تأسّست كليات الطب والصيدلة (1883)، والحقوق والهندسة (1913)، ما ساهم في تخريج أجيال من الأطباء، المحامين، والمهندسين.

"كانت المكتبة الشرقية التابعة للجامعة المحور الذي التقى فيه العديد من المثقفين من لبنان والمناطق العرتبية والمستشرقين، الذين ميّزوا بعملهم للنهضة العربية"، وفق دكّاش. دُمّرت المكتبة مرتين خلال الحرب الأهلية، ثم بسبب انفجار مرفأ بيروت، قبل أن تعود إلى سابق عهدها، وتحتوي العشرات من أرشيفات الصور الفوتوغرافية من اليسوعيّين أولاً، كما أرشيف المصوّر اللبناني الأرمني الرائد فاروجان ومجموعة كاريكاتور ديران عجميان، بالإضافة إلى مجموعات أدبية مثل أرشيف إميلي نصر الله وغيرها من رجالات المسرح. يؤكّد دكّاش أنّ الجامعة "لم تتوقّف في عز الاضطرابات والأزمات عن متابعة رسالتها الثقافية"، واصفاً إيّاها بـ"رسالة مقاومة بالذاكرة الثقافية".

دور في المشهد السياسي اللبناني

أدّى الرئيس السابق للجامعة البروفيسور الأب سليم عبو اليسوعي دوراً حاسماً إلى جانب البطريرك الماروني نصرالله بطرس صفير في مقاومة الوصاية السورية في لبنان، ويعتبر دكّاش أنّ "إخلاصهما ساهم في زعزعة السيطرة السورية".

"آمن عبو بأنّه لم يكن بإمكان الجامعة أن تكتفي بأن تكون مجرّد مراقبة للأحداث"، يستذكر دكّاش، "بل كان عليها، وفقاً له، أن تؤدّي دوراً فعالاً من خلال المقاومة الثقافية، مدافعة عن قيم الحرية والعدالة. جاء موقفه ردّة فعل مؤصّلة في علاقة الجامعة الأصيلة بديمومة لبنان". تؤكّد جامعة القديس يوسف دورها كمؤسّسة مقاومة ثقافياً وسياسياً، ملتزمة بسيادة الدولة والحرية. منذ 12 عاماً، شدّد رئيسها على ضرورة التغيير السياسي والمحاسبة، منتقداً الفساد ومؤكداً الشفافية والإصلاح. دعمت الجامعة انتفاضة 17 تشرين الأول/أكتوبر 2019 من خلال التوعية وإصدار بيانات مشتركة مع الجامعة الأميركية في بيروت. يشدّد دكّاش على "دور الجامعة في تعليم الديموقراطية لطلابها"، مشيراً إلى إنشاء "مجلس عام للطلاب" منذ ثلاث سنوات يمثّل جميع الطلاب، "وأصبح هيكلاً للحوار والبناء المشترك لصالح المؤسسة ولصالح كلّ طالب". هذه الطريقة تؤكّد بالنسبة إليه "مقاومتنا الثقافية والسياسية، إذ تُعدّ الديموقراطية وممارستها عنصراً أساسياً فيها".